الهجرة العراقية الثالثة لها اسبابها المختلفة عن سابقاتها

عمليات العنف والارهاب تفاقم ظاهرة هجرة العراقيين إلى الخارج

أتصل الدكتور يونس عبد الهادي المقيم في لندن بزميلة وصديقه الدكتور صباح السعدي مبديا رغبته في العودة إلى العراق وعارضا عليه التعاون في اقامة مشروع صحي في بغداد ، وقبل ان يشرح د. عبد الهادي تفاصيل مشروعه ، بادره د. صباح بالطلب اليه ان يجد له فرصة عمل مناسبة ، لأنه حزم حقائبه وقرر مغادرة العراق بعد ان اصبح الاطباء اهدافاً سهلة لعصابات الجريمة والارهاب. منذ سقوط النظام المباد ، استفحلت ظواهر العنف والجريمة المنظمة والارهاب في البلاد ، وتعرض الاطباء كما العديد من المواطنين إلى عمليات خطف واغتيال ، وباتوا يشعرون بإن حياتهم مهددة وبدأوا بالسفر إلى الخارج ضمن موجة أخرى من هجرة العراقيين ، اختلفت اسبابها وطبيعتها عن سابقاتها.

اياد عطية الخالدي

العودة إلى المهجر

في تشرين الثاني عام ٢٠٠٣ أي بعد ستة اشهر على سقوط نظام صدام المباد، عاد إلى بلده رجل الاعمال جميل جواد كاظم، بصحبة عائلته، وسكن في حي المنصور وبعد اقل من شهر فوجئ بعصابة تقتحم منزله وتقتاده تحت تهديد السلاح إلى مزرعة خارج بغداد، وطلب منه ان يدفع فدية قدرها ثلاثين الف دولار مقابل الافراج عنه وعندما اخبر محتجزيه بانه لا يملك هذا المبلغ، فوجئ بانهم يملكون معلومات مفصلة عن امواله داخل العراق وخارجه ولم يجد من بد سوى الانصياع إلى مطالبهم.

وبعد اطلاق سراحه قرر العودة من جديد إلى السويد حيث عاش هناك أكثر من خمسة عشر عاماً.

ويقول الحاج حميد كاظم ان سبعة من اولاده وبناته هاجروا إلى كندا وبريطانيا منذ أكثر من عشرين عاماً، وكان الهاتف هو الوسيلة الوحيدة للاتصال بهم، اذ ان رؤيتهم تتطلب من الطرفين السفر إلى عمان أو دمشق كمحطة للقاء. ويضيف الحاج كاظم موضحاً: بعد سقوط النظام عادوا جميعا إلى العراق، وكانوا يرغبون بالبقاء وإقامة مشاريعهم هنا، لكن تدهور الاوضاع الأمنية والاقتصادية وضعف الخدمات ، جعلتهم يغضون النظر عن فكرة البقاء وقرروا العودة إلى الخارج من جديد.

وتقول ام فلاح: احد ابنائي سافر إلى دبي منذ سبع سنوات، وعندما انهار نظام صدام، اتصل بنا يسألنا ان كان الافضل ان يعود إلى العراق ، ام يبقى في دبي خاصة ان عمله هناك لا يوفر دخلاً جيداً، لكن والده طلب منه البقاء لحين استقرار الاوضاع الأمنية في العراق .

فرصة لا تفوت

ويقول مازن كريم ٣٥ سنة "الموظف في وزارة التجارة" : انه سيكون في غاية السعادة اذا حظي بفرصة عمل أو سفرة طويلة إلى الخارج. ويعزو مازن سبب هذه الرغبة إلى فقدانه الشعور بالامان وراحة البال ويوضح: "عندما نخرج من بيوتنا إلى الشارع لا نعرف ان كنا سنعود أو نكون ضمن قوائم الضحايا اليومية للسيارات المفخخة والعبوات الناسفة وعمليات الخطف والاغتيال الوحشية : انه جنون". واضاف انه يعلم جيداً ان العديد من المسؤولين الحاليين أو في الحكومة السابقة نقلوا عوائلهم إلى الخارج خوفا على حياتهم وكذلك فعل كبار التجار والمستثمرين العراقيين.

وتقول ميساء ناصر مدرسة: انا اعتقد أي شخص يحظى بفرصة عمل أو سفر خارج العراق، لن يتردد في استثمارها وتوضح: الشعور بالامان هو الشيء الذي نفتقده أكثر من أي شيء اخر حتى من الكهرباء أو فرصة العمل.

الهجرة تركت اثاراً اقتصادية واجتماعية ونفسية وديموغرافية خطرة على المجتمع العراقي

استهداف كل الشرائح

تقول ميرفت بطرس ٢٧ سنة: ان تيارات الجريمة المنظمة التي تقودها جماعات ارهابية، غايتها الانتقام من الشعب العراقي، استهدفت المسيحيين مثل كل فئات المجتمع حتى باتوا يشعرون بالقلق خاصة بعد تفجير عدد من الكنائس في بغداد والموصل.

وتوضح ميرفت: ان عمها وعائلته الذين يسكنون في مدينة الموصل هاجروا إلى دمشق بعد ان تعرض المسيحيون إلى القتل مثل غيرهم من ابناء العراق ، وتستدرك : المشكلة الآن ان اصحاب العقارات يرفضون عرض املاكهم للبيع بسبب التهديدات، حتى يتمكن المجرمون من الاستيلاء عليها عنوة.

وكانت احصائيات اصدرتها احدى المنظمات الانسانية العاملة في العراق، اشارت إلى ان ٧٪ من المسيحيين العراقيين هاجروا من العراق منذ سقوط النظام المباد، وعزا التقرير اسباب استهداف المسيحيين إلى اجبارهم على مغادرة العراق.. واشار إلى وفاة واصابة أكثر من ١٥٠ مواطناً عراقيا منهم بسبب التفجيرات التي استهدفت الكنائس في بغداد والموصل وتعرضهم لعمليات القتل.

مستهدفون

وعلى الرغم من ان موجة العنف والجريمة والارهاب وضعت العراقيين جميعهم تحت طائلة التهديد والقتل، فلم يسلم رجال الشرطة والجيش والموظفون وحتى العمال من هذه الجرائم، ولكن يمكن ان نميز جرائم واغتيالات استهدفت الاطباء والاساتذة ورجال الدين بشكل محدد.

يقول وزير التعليم العالي في الحكومة السابقة د. طاهر البكاء: ان عملية استهداف الاساتذة والكفاءات العلمية في البلد تهدف إلى تفريغه من العقول وقتل الخلايا الحية في النسيج العراقي...

هجرة الكفاءات العلمية تهدد بتفريغ العراق من العقول العلمية وتعيق عملية التقدم العلمي

ان هذه العملية تسببت في هجرة العديد من العقول العراقية إلى دول الجوار، والى دول أخرى، وان اكثر من ٧٠ استاذاً عراقيا تعرضوا إلى الاغتيال واعداد أخرى تلقت تهديدات بالقتل منذ سقوط النظام.

وقدر المركز الدولي لرصد الانتهاكات في العراق عدد العلماء والكفاءات العلمية الذين اغتيلوا على يد مجهولين خلال العامين الماضيين بـ (١٠٠) عالم وان (٥٠٠) آخرين اجبروا على الهجرة إلى الخارج.

الدكتور علي تقي الموسوي رئيس الجامعة المستنصرية يصف ظاهرة اغتيال وخطف الاساتذة وانعكاساتها بانها صفحة سوداء في تاريخ العراق. ووجه اصابع الاتهام إلى جهات تحاول وأد مسيرة العلم لابقاء العراق متخلفاً.

الدكتور حاتم العطية رئيس جامعة بغداد، أشار إلى وجود رغبة كبيرة لدى الاساتذة والعلماء العراقيين بالعودة إلى العراق للمساهمة بخبراتهم في عملية البناء المرتقبة ، مبيناً ان بوادرها قد تظهر بمجرد ان يشهد البلد جواً من الامن والاستقرار.

الاطباء في الصدارة

الاطباء يحتلون مرتبة متقدمة من بين أكثر الشرائح في المجتمع العراقي تعرضاً إلى الارهاب والخطف والاغتيال. وتشير بعض الاحصائيات والمعلومات إلى ان عدداً كبيراً من الاطباء توقعوا عودة زملاء لهم من الخارج بعد سقوط النظام لكنهم فوجئوا برحيل الاطباء الاكفاء عن العراق بعد موجة العنف والاعتداءات التي طالتهم بلا استثناء.

الاردن ... نقطة استقطاب دائمة

وتعد الاردن أكثر البلدان التي يقبل العراقيون الهجرة اليها، وتذكر ارقام رسمية اردنية ان تعداد الجالية العراقية في الاردن وصل إلى نحو ٤٠٠ الف نسمة. وتذكر المصادر الاردنية نفسها ان ١٢٠ الف عراقي قدموا إلى البلاد بعد سقوط نظام صدام.

كمال نجم العائد تواً من الاردن، يقول: بان العمال العراقيين يعانون هناك، وان معظمهم يرغبون بالعودة إلى العراق لولا عمليات الجريمة والارهاب التي يتعرض اليها البلد، واضاف كمال: برغم مرارة العمل في الاردن وصعوباته لكنه أفضل من العمل في العراق، حيث يتعرض العمال هنا إلى الذبح، متى ما امسك بهم الارهابيون.

وأوضح كمال ان العراقيين الذين يعيشون في الاردن برخاء ويمتلكون شركات ومصانع هم من المهاجرين الجدد من التجار والكفاءات العلمية واصحاب رؤوس الاموال وعدد غير قليل من ازلام النظام السابق الذين سرقوا اموال العراقيين وهربوا بها إلى هناك على حد وصفه.

ويشير تقرير اقتصادي إلى ان العراقيين تصدروا قائمة المستثمرين الاجانب في قطاع العقارات الاردني خلال شهر نيسان ٢٠٠٥ واشتروا قرابة ٨٢٪ من اجمالي الصفقات التي ابرمها غير الاردنيين، الامر الذي اسهم بانعاش سوق العقارات الاردنية..

ويوضح التقرير ان العديد من التجار العراقيين واصحاب رؤوس الاموال اقاموا في عمان وفتحوا هناك مكاتبهم وشركاتهم ، كما ان العديد من ازلام النظام أيضا قاموا بشراء عقارات واسهم في العديد من الشركات وقطاعات المال والاقتصاد الاردني.

ويذكر التقرير ان اعلى استثمارات العراقيين كانت في قطاع العقار بواقع ٥٨ مليون دولار كمعدل شهري.

الاموال العراقية المهاجرة مع اصحابها تنعش اقتصاديات دول أخرى

***ملايين العراقيين مستعدون للعودة متى ما استقرت الاوضاع الأمنية**

***باحث عراقي: الهجرة خلقت اختلالاً كبيراً في نسبة الاناث إلى الذكور وتسببت في ارتفاع نسبة العنوسة إلى ٤٠٠٪**

اثار ونتائج

يقول الدكتور محمد الحسوني مدير برنامج الوقاية من العنف ان عدد الاطباء الذين تعرضوا إلى الاختطاف والاعتداء منذ سقوط النظام المباد بلغ (١٣٠) طبيباً، مشيراً إلى ان هذه الحوادث انعكست على اداء المؤسسات الخدمية والصحية ذات الصلة بحياة المواطنين بسبب هجرة العقول والكفاءات الطبية إلى الخارج.

كما خلقت هذه الهجرة مشكلة في التدريسيين بالكليات الطبية ونقصاً في الخبرات العلمية التي يمكن ان تسد الفراغ بنفس الكفاءة، وهذا ما ينعكس بنتائج وخيمة على مستقبل الطب في العراق.

واشارت احصائية اصدرها المركز الدولي لرصد الانتهاكات في العراق إلى المخاطر التي تتعرض لها النخب العلمية العراقية التي ستؤثر سلباً على بناء العراق واعماره.

وربطت احصائيات دولية مختلفة بين تصاعد استهداف الكفاءات العلمية وتفريغ العراق من العقول والعلماء نتيجة مغادرتهم بلدهم.

وأوضحت دراسة لباحث عراقي هو الدكتور هاشم نعمة إلى ان هجرة العراقيين إلى الخارج احدثت اختلالاً كبيراً في نسبة الذكور إلى الاناث داخل البلد، لان غالبية المهاجرين من الذكور، كما تركت آثاراً ديموغرافية واقتصادية واجتماعية ونفسية كبيرة على المجتمع العراقي مما ادى على سبيل المثال إلى ارتفاع نسبة العنوسة وسط النساء إلى نسبة ٤٠٠٪ وانخفضت نسبة الخصوبة لدى المرأة العراقية بشكل واضح.

وادى انتقال رأس المال العراقي خارج البلاد إلى خلل كبير في القطاع الاقتصادي ، اضافة إلى المشاكل الاجتماعية.

الهجرة الثالثة

لا توجد احصائيات كاملة عن عدد العراقيين الذين هاجروا إلى الخارج بعد سقوط النظام المباد، فاجهزة الدولة لبلد تعرضت مؤسساته ومرافقه العلمية والاحصائية والخدمية إلى التخريب والتدمير ما زالت في طور التكوين...

الا ان العديد من الدلائل والوقائع فضلا عن احصائيات جزئية تشير إلى ان اعداداً كبيرة من العراقيين هاجروا إلى الخارج وبالمقارنة مع غيرها من الهجرات التي حدثت في السابق يمكن وصف هذه الهجرة بانها الثالثة من حيث عدد المهاجرين بعد الهجرة الكبيرة نهاية السبعينيات وما تلاه ثم الهجرة الاكبر بعد عام ١٩٩١ لكنها بالطبع تختلف في اسبابها وطبيعتها عن سابقاتها.

ظاهرة جديدة

في دراسة قدمها الدكتور هاشم نعمة عن مراحل تطور الهجرة في العراق اشار إلى ان ظاهرة هجرة العراقيين تعد ظاهرة حديثة بالمقارنة مع بقية الدول المجاورة أو الدول الأخرى، اذ لم يعرف تاريخ العراق المعاصر حدوث هجرة واسعة يمكن الحديث عنها باستثناء هجرة اليهود العراقيين إلى اسرائيل في عام ١٩٤٨ . ١٩٥١ وعدا ذلك فأن اعداداً قليلة منهم كانت تهاجر إلى الخارج قبل مجيء سلطة البعث إلى الحكم في انقلاب ١٩٦٨ .

وبحسب مصادر عراقية رسمية تعود إلى عام ١٩٥٧ فإن عدد العراقيين المسجلين في الخارج بلغ ٤٢٤٦٤ فقط، وتناقص العدد بحسب المصادر نفسها إلى ٢٥٨٥٧ في عام ١٩٦٥ وواصل العدد بالتناقص إلى ان وصل إلى ٣١٤٥ عراقي فقط في عام ١٩٦٧,

لكن تيار الهجرة بدأ يتصاعد بعد انقلاب عام ١٩٦٨ نتيجة السياسة القمعية والفكرية للنظام المباد.

وفي تقرير لمنظمة العمل العربية صدر في منتصف السبعينيات اشار إلى هجرة ٤١٩٢ من أصحاب الكفاءات العلمية العراقيين إلى الخارج، واستمر تيار الهجرة بسبب سياسات نظام البعث وقيامه بحملات قمع لضرب معارضيه وتكرار عمليات عسكرية لقمع الحركة الوطنية الكردية، وطبقاً للتعداد السكاني في العراق لعام ١٩٧٧ فان مجموع العراقيين المقيمين في الخارج والمسجلين لدى السلطات الحكومية فقط بلغ ١٤٢,٢٨٠ نسمة.

الموجة الاكبر

الموجة الاكبر في نزوح العراقيين بدأت قبل اندلاع الحرب العراقية الايرانية بتهجير الالاف من العراقيين الاكراد الفيلية، ويقدر عدد الذين تم تهجيرهم انذاك ٤٠٠,٠٠٠ مهجر اما من هربوا من جحيم تلك الحرب من الشباب برغم منعهم من السفر عام ١٩٨٢ بلغ ٢٤٧٥٠ توزعوا على ١٦ دولة معظمها من الدول الاوربية، بعد ان امتنعت الدول العربية عن منحهم تأشيرات اقامة أو دخول.

اما خلال الفترة من عام ٩٠-٩٩ فقد بلغ عدد طالبي اللجوء في الدول الاوربية فقط ١٩٠,٤٠٠ نسمة.

المارد العراقي

ان المارد العراقي الذي يتوقع له ان ينهض في العقد القادم في منطقة الشرق الاوسط سيكون بحاجة إلى خبرات ابنائه العلمية في جميع الاختصاصات ، ويرى العديد من المراقبين ان الاحداث التي جرت بعد سقوط النظام وأدت إلى هجرة العراقيين هي اسباب زائلة، وان ملايين العراقيين مستعدون الان للعودة إلى العراق بمجرد زوال هذه الاسباب ليساهموا في بناء واعمار بلادهم.